٣

تصـــدير

يحتوى هذا الكتاب مجموعة من الدراسات النقدية تجمع بين التنظير والتطبيق ، وتحاول أن تقدم نوعاً من التاريخ التقييمى ، أو التقييم التاريخى لعطاء مسرحنا المصرى انطلاقاً من يوم السادس من أكتوبر باعتباره تاريخاً فاصلاً بين مرحلتين : بين ساحق النكسة وشاهق النصر !

وهو دعوة لتصفية « الحالة » المسرحية التى عاناها وجداننا الفنى كله ، ولايزال يعانيها حتى الآن ، وأعنى بها حالة المسرح واللامسرح : فمسرحنا الأصولى أو المسرح الرسمى غير قادر على العبور مع العبور ، ومسرحنا غير الأصولى أو المسرح التجارى يحاول أن يعبر فوق العبور ! هناك قصور ! وهنا تقصير ! وأمام الاثنين ينفصم الجمهور انفصام لغتنا ذاتها بين العامية والفصحى . أوبين اللهجة التى نحيا بها ونعيش ، واللغة التى نفكر بها ونعبر !

فمسرحنا الرسمى لايغشاه سوى جمهور من المثقفين ، جمهور العين التى تسمع ، والأذن التى ترى ، والعقل الذى يجادل ويحاور ! وهو منذ البداية جمهور الدعوة الذى لايشكل عمقاً حقيقيًّا فى قاعدة الجماهير .

أما مسرحنا التجارى فجمهوره هو جمهور الشعب ، الجمهور الذى يتفرج بحواسه الخمس ، ليعيش بوجدانه كله ، والذى يشكل فى النهاية جمهور الدعاية ، أو المساحة العريضة من الجمهور الكبير .

هناك جمهور « الكيف » وهنا جمهور « الكم » : الأول هو مسرح القلة المتذوقة ، والآخر هو مسرح الكثرة المستهلكة ، وبين المسرحين – مسرح القمة الباردة ، ومسرح القاعدة الساخنة – ينبثق السؤال :

كيف يمكن مسرحنا أن يزاوج بين دراما المثقفين وبين كوميديا الجماهير فى حالة

مسرحية واحدة ؟

كيف يستطيع مسرحنا أن يكون عميق الجذور ، واسع المساحة ، معبراً عن العقل الجمعى ومن ثم مستوعباً للوجدان القومى ؟

كيف يقدر مسرحنا على أن يعود واعياً بحقائق حياته ، مدركاً لوقائع مجتمعه ، معبراً عن روح عصره ، كيما يعود من جديد ليحتفل احتفالاً خلاقاً بالحوار الديمقراطى ، والصراع الاجتماعى ، والحدث القومى ؟

بعبارة أخرى وأخيرة : كيف الطريق أمام مسرحنا ، كى يستطيع أن يكون وقوداً حيًّا فى قضايا التحرير الوطنى ، والتنوير الاجتماعى ، والتعمير الحضارى ؟

إنه طريق الانبثاق من هذا الاختمار العظيم الذى تعيشه جماهير شعبنا من بعد معركة العبور ، بولادات جمالية ودرامية أصيلة ، تعبر عن الصراع الحيوى داخل الأبنية الاجتماعية ، والانفتاح الحى فوق خريطة العصر .

وبذلك يصير المسرح حقيقة لا مجازاً : لقاء الفنان بالإنسان فوق خشبة الفعل والانفعال . . الجدل والصراع . . الخلق والإبداع ، وأمام ستار الحاءات الثلاثة . . . الحب والحرية والحياة ، وبين جمهور أكتوبر المجيد الذى يريد أن يعبر لا مع العبور ولا فوق العبور ، ولكن إلى مابعد العبور !

جلال العشرى